تفريغ

دروس فقهية

ووقفات وعظية

الصادرة عن إذاعة البيان التابعة للدولة الإسلامية







تُقدِّم :

تــفــريــغ

سلسلة دروس فقهية ووقفات وعظية

الصادرة عن إذاعة البيان التابعة للدولة الإسلامية



الحلقة الرَّابعة : حكم موالاة الكفَّار ومحبَّتهم

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله وصَفِيُّه من خلقه صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن استنَّ سُنَّته واقتفى أثره واهتدى هديه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد :

اعلم أخي المسلم، أختي المسلمة أنَّ من ظاهر الكفَّار والمشركين و أعانهم بأيِّ أنواع المعاونة والمساعدة فهو متعرِّضٌ لسخط الله ومقته و عقوبته وعذابه، والله ورسوله والمؤمنون منه براء.
وقد وردت أدلَّة كثيرة من الكتاب والسُّنَّة تُؤكِّد حرمة تولِّي الكفَّار وهي أكثر من أنْ تُحصر.
قال الشَّيخ حمد بن عتيق رحمه الله :
«فأمَّا معاداة الكفَّار والمشركين، فاعلم أنَّ الله ﷻ قد أوجب ذلك وأكَّد إيجابه وحرَّم موالاتهم وشدَّد فيها حتَّى أنَّه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلَّة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التَّوحيد وتحريم ضدِّه» انتهى كلامه .

ومعاداة الكفَّار من صميم الإيمان والاتباع لله ورسوله فوجب بغضهم ومعاداتهم طاعة لله ورسوله، ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

ومن والى الكفَّار وأهل الإشراك وناصرهم فحكمه حكمهم، سواء ناصرهم بالرَّأي والمشورة أو المال والسِّلاح أو القتال أو رضي بقتالهم للمسلمين أو فرح بانتصارهم عليهم ونحو ذلك من أنواع المناصرة، قال الله جلَّ الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾.

قال القرطبيُّ رحمه الله :
قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾، أي : يعضدُّهم على المسلمين فإنَّه منهم، بيَّن تعالى أنَّ حكمه حكمهم وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتدّ، وكان الذي يتولاهم ابن أُبي ثُمَّ هذا الحكم باقي إلى يوم القيامة في قطع الموالاة، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾، انتهى كلامه رحمه الله.

وقال ابن حزم كما في المحلَّى :
وصحَّ أنَّ قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾، إنَّما هو على ظاهره بأنَّه كافر من جملة الكفَّار فقط وهذا حقٌّ لا يختلف فيه اثنان من المسلمين انتهى كلامه.

وقال ابن القيِّم رحمه الله في كتابه أحكام أهل الذِّمة :
قد حكم الله –ولا أحسن من حكمه– أنَّ من تولَّى اليهود والنَّصارى فهو منهم ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾،فإذا كان أولياؤهم منهم بنصِّ القرآن كان لهم حكمهم انتهى .

وتولِّي الكفَّار من علامات النِّفاق المخرج من الإسلام، قال الله جلَّ الله :

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾.

قال الشِّيخ المجدد محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى في رسالته نواقض الإسلام العشرة قال :
النَّاقض الثَّامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدَّليل قوله تعالى :
﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾، انتهى كلامه.

قال الله جلَّ الله : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

قال الشَّيخ سليمان بن عبد الله في الدَّلائل في حكم موالاة أهل الإشراك قال :
قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾، فإذا كان وعد المشركين في السِّر بالدُّخول معهم ونصرتهم والخروج معهم اِنْجلوا نفاقاً وكفراً وإنْ كان كذب، فكيف بمن أظهر لهم ذلك صادقاً وقَدِم عليهم ودخل في طاعتهم ودعا إليهم ونصرهم...

وانقاد لهم وصار من جملتهم و أعانهم بالمال والرَّأي، هذا مع أنَّ المنافقين لم يفعلوا ذلك إلَّا خوفاً من الدَّوائر، كما قال تعالى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾، انتهى كلامه رحمه الله.

وإنَّ الصَّليبين اليوم بل أهل الكفر قاطبة ومن تبعهم من حكام العرب المرتدِّين قد تحالفوا في حملة عالمية ملعونة ووقفوا صفاً واحداً وتناسوا خلافاتهم لقتال الدَّولة الإسلاميَّة –أعزَّها الله بطاعته– وما كان ذنبهم إلَّا أنْ قالوا ربُّنا وحكموا بشرع الله وصدعوا بالتَّوحيد وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة وجاهدوا الكفَّار والمنافقين ما استطاعوا لذلك سبيلاً، فمن وقف مع جحفل الكفر وساعدهم بأيِّ نوع من أنواع المساعدة أو رضي بفعلهم وقتالهم للدَّولة الإسلاميَّة ولو لم يساعدهم فقد خرج من دائرة الإسلام وارتدَّ عنه بإجماع المسلمين، فليحذر المسلم من مجرد الرِّضا بفعل الكفَّار هذا ولو لأجل اختلاف معهم ونحوه فلا يُعذر بذلك البتَّة، فمن كان مسلماً تجب نصرته، ولا يجوز إسلامه للكفَّار أو اعانتهم عليه ولو كان فاسقاً.

قال ابن تيمية رحمه الله :
وتجب مناصرة المسلم وموالاته ولو اعتدى عليك وظلمك. انتهى كلامه رحمه الله.

قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾.

قال الشَّيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه الدَّلائل :
اعلم رحمك الله، أنَّ الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم ومداراةً لهم ومداهنةً لدفع شرِّهم فإنَّه كافرٌ مثلهم وإنْ كان يكره دينهم و يبغضهم ويحبُّ الإسلام والمسلمين...

هذا إذا لم يقع منه إلَّا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعةٍ واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل و أعانهم عليه بالنُّصرة والمال ووالاهم وقطع النُّصرة والموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القِباب والشِّرك وأهلها بعدما كان من جنود الإخلاص والتَّوحيد فإنَّ هذا لا يَشكُّ مسلم أنَّه كافر من أشدِّ النَّاس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يستثنى من ذلك إلَّا المكره وهو الَّذي يستولي عليه المشركون فيقولون له أُكفر أو اِفعل كذا وإلَّا فعلنا بك وقتلناك أو يأخذونه فيعذِّبونه حتَّى يُوافقهم فيجوز له الموافقة باللِّسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، وقد أجمع العلماء على أنَّ من تكلَّم بالكفر هازلاً أنَّه يكفر، فكيف بمن أظهار الكفر خوفاً وطمعاً في الدُّنيا انتهى كلامه رحمه الله.

ومن علامات الإيمان الكامل والتَّوحيد الخالص البراءة منهم، فعلى المؤمن أنْ يبرأ من الكفَّار ومن معبوداتهم وأنظمتهم وقوانينهم الكفريَّة المخالفة لشرع الله ﷻ وأنْ يعاديهم ويبغضهم كما أمر الله بذلك في مواطن كثيرة من كتابه، كما قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾.

والبغضاء تكون بالقلب، والعداوة تكون باللِّسان واليد، وإنَّ جهاد الكفار دائمٌ إلى قيام السَّاعة وأهله هم المنصورون بإذن الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى تقوم السَّاعة كما تواتر الخبر عن نبيِّنا ﷺ.

قال الله جلَّ الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾، فبئساً لمن باع أُخراه بدنيا فانية، لأجل حُطام من الدُّنيا قليلٌ، ثُمَّ يكون خاسراً ذليلاً في الدُّنيا والآخرة، وأنَّ العاقبة للموحِّدين اتباع المرسلين...

قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

اللَّهُمَّ اجعلنا مبغضين للكفَّار معادين لهم كما أمرتنا بذلك، واجعلنا ممَّن يُجاهد في سبيلك لإعلاء كلمتك، اللَّهُمَّ وفِّقنا للعمل الَّذي تحبُّه وترضاه، واجعلنا هُداةً مهديين لا ضالِّين ولا مضلِّين، اللَّهُمَّ اجعل أعمالنا كلَّها صالحةً ولوجهك خالصةً ولا تجعل لأحدٍ فيها شيئاً، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



لا تنسونا من صالح دعائكم

نشر في :

الأربعاء ١٤٤١/٠٣/٠٩